مطرانية ملوى وأنصنا والأشمونين

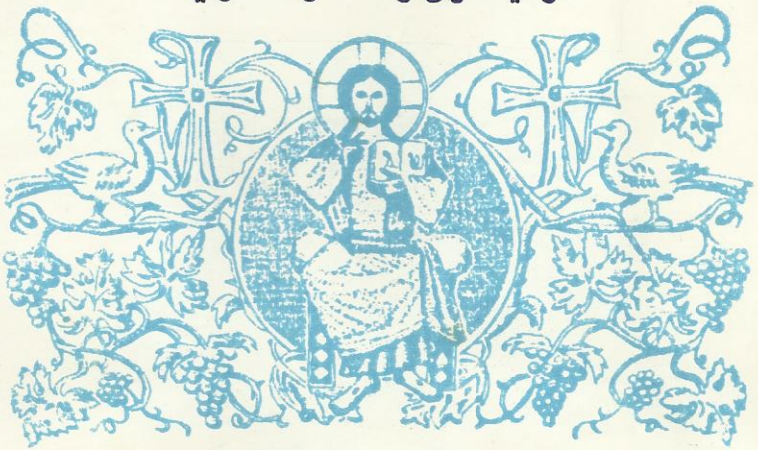

السماء الثانية

الأنبا بيمن

محاضرات وندوات
للشباب الجامعي

السماء الثانية

﴿ العذراء مريم أم النور ﴾

(طبعة ثانية)

نيافة
الأنبا بيمن

السلام لك

السلام لك .. نسألك ايتها القديسة المتلئية مجداً العذراء كل حين والدة الاله أم المسيح أصعدى صلواتنا إلى إبنك الحبيب ليغفر لنا خطايانا ..

السلام للتى ولدت لنا النور الحقيقى المسيح ايتها العذراء القديسة . إسالى الرب عنا ليصنع رحمة مع نفوسنا ويغفر لنا خطايانا ..

ايتها العذراء مريم والدة الاله القديسة الشفيعة الأمينة لجنس البشرية اشفعى فينا أمام المسيح الذى ولدتيه لكى ينعم لنا بغفران خطايانا ..

السلام لفخر جنسنا ولدت لنا عمانوئيل . نسألك اذكرينا أيتها الشفيعة أمام ربنا يسوع المسيح ليغفر لنا خطايانا .

* موجز سيرتها الطاهرة :

هى إبنة يواقيم وحنة ، من سبط يهوذا من بيت داود الملك وكانت حنة عاقرا ، وكانت تصلى بلجاجة كى يرزقها الرب نسلا ، وظهر لها ملاك الرب كما ظهر لزوجها يبشرهما بإستجابة صلواتهما ورزقت حنة بمريم التى قدمتها إلى الهيكل بعد أن بلغت الثلثة من عمرها . ومات يواقيم ، ومريم فى سن السادسة بينما ماتت حنة وإبنتها فى الثامنة ، وعاشت مريم حتى الثانية عشرة من عمرها فى الهيكل عابدة معتلية خادمة . وقد تدخل الرب بإعلان معجزى لكى يكون يوسف خطيب مريم ، وعاشت العذراء فى بيته فى الناصرة حيث جاءها الملاك جبرائيل يبشرها بأنها قد وجدت نعمة عند الرب وأنها ستحبل وتلد إبنا تسميه يسوع ، هذا يكن عظيما وإبن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسى داود ابيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية

(لوقا ١ : ٣٠ — ٣٣) وقد أطاعت العذراء صوت السماء قائلة « هوذا أنا أمة الرب ليكن لى كقولك » ومنذ هذه اللحظة حل الاقنوم الثانى فى أحشائها التى طهرها الاقنوم الثالث الروح القدس . وقامت مريم فى تلك الايام وذهبت مسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا ، ودخلت بيت زكريا وسلمت على اليصابات ، ولما سمعت اليصابات سلام مريم إرتكض الجنين فى بطنها ، وإمتلأت اليصابات من الروح القدس وصرخت بصوت عظيم ، وقالت مباركة أنت فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنك فمن أين لى هذا ان تأتى أم ربى إلى ، فهوذا حين صار صوت سلامك فى أذنى إرتكض الجنين بابتهاج فى بطنى . فطوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب » لو ١ : ٤٠ — ٤٥ .

ونطقت العذراء بتسبحتها المجيدة التى نطالعها فى إنجيل معلمنا لوقا (اصحاح ١ : ٤٦ — ٥٥) .. ومكثت مريم عند اليصابات نحو ثلاثة شهور ، عادت بعدها إلى بيت يوسف فى الناصرة لتخدمه فى هدوء وطاعة وبر .. وعندما

لاحظ يوسف علامات الحمل على العذراء ساورته الشكوك ولكنه إذ كان باراً لم يرد أن يشهرها ، وفيما هو يفكر فى هذه الأمور لم تترك السماء فى حيرته إذ تراءى له ملاك الرب فى حلم قائلا لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس (مت ١ : ٢٠) .

وفى تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة فصعد يوسف من الجليل من الناصرة إلى اليهودية إلى بيت لحم ، لكونه من بيت داود ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهى حبلى ، وبينما هما هناك تمت ايامها لتلد ، فولدت إبنها البكر وقطمته وأضجعته فى المذود إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل . . . وذهب الرعاة إلى المذود يقدمون السجود للوليد بعد أن ظهر النجم السماوى مبشرين أياهم بميلاد المسيا . . . ولما تمت ثمانية أيام إختتن الصبى وسمى يسوع . ولما تمت أيام تطهير مريم حسب شريعة موسى قدمت العذراء الذبيحة التى حسب الناموس . . . ثم جاء المجوس وقدموا هداياهم وعادت العائلة المقدسة إلى بيت لحم وظهر الملاك ليوسف فى حلم قائلا قم وخذ الصبى

وأمه وإهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك (مت ٢ : ١٣ — ٥) وبعد أن أمضت العائلة المقدسة فى مصر الفترة المحددة من السما. إلى حين موت الذى يطلب الصبى عادت العائلة إلى الناصرة وكان الصبى ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمة وكانت نعمة الله عليه . . وكانت العذراء ويوسف يذهبان كل سنة إلى أورشليم فى عيد الفصح ولما كان الصبى إثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد وهناك تخلف يسوع ، ولما عادوا يطلبونه معذبين قال يسوع لهما « ألم تعلما إنه ينبغى أكون فى ما لابى » (لو ٢ : ٤٩) ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة وكان خاضعا لهما وكانت أمه تحفظ جميع هذه الامور فى قلبها ، وأما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس . .

وحضرت مريم العذراء عرس قانا الجليل وطلبت من إبنها أن يتدخل عند فراغ الخمر ، وإستجاب الرب لطلبتها وعمل أول معجزة عندما حول الماء خمرا ، وكان خمرا مفيقا إندهش له رئيس المتكأ وكانت أحشاء العذراء تتمزق وهى واقفة عند الصليب مع مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية (يو ١٩ : ٢٥) قائلة فى قلبها « أما العالم

فيفرح بقبوله الخلاص ، وأما أحشائى فتلتهب عند نظرى إلى صليبوتك الذى أنت صابر عليه يا إبنى والهى) ولما رأى يسوع أمه والتلميذ الذى كان يحبه واقفا قال لأمه يا أمرأة هوذا إبنك ثم قال للتلميذ هوذا أمك ، ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته . . وكانت العذراء مع التلاميذ طيلة فترة الأربعين المقدسة ما بين القيامة والصعود مواظبة معهم على الصلاة والطلبة . . وحضرت العذراء يوم العنصره فى بيت مرقس (العلية) . .

ولما شاء الرب يسوع أن ينقل والدته الفائقة الطهر إلى السماء . وكان ذلك بعد خمسة عشر عاماً من صعوده ، أرسل اليها ملاكا يحمل اليها خبر إنتقالها ففرحت كثيرا وطلبت أن يجتمع اليها الرسل ، فأمر السيد أن يجمع الرسل من كل أنحاء العالم وأن يذهبوا إلى الجثمانية حيث كانت العذراء موجودة ، وبعدما ودعتهم حضر إبنها ومخلصها يسوع المسيح وأسلمت روحها الطاهرة بين يديه ، وكان ذلك يوم الأحد ٢١ طوبه ، ورفع الرسل جسدها الطاهر وهم يرتلون مع الملائكة المحتفلين بإنتقال أم النور . ويحتفظ لنا التقليد الكنسى أنه بينما الرسل الأطهار يحملون جسدها

إلى المكان المعروف بالجثمانية إعترضهم اليهود وهجموا على الفراش المحمول عليه جسد العذراء لكي يطرحوه على الأرض ، ولكن الذى إمتد ليعتدى على الجسد الطاهر انفصلت يداه عنه فصرخ باكيا فتحنن عليه الرسول بطرس وتشفع بالعذراء وعادت اليه يداه ملتصقتين بجسده وآمن الشخص بالرب يسوع وبأمه البتول . ودفنها الرسل بجبل يهوشافاط ، ولما كانت أصوات التسبيح مستمرة لم يستطع الرسل ان يغادروا القبر ، أما توما الرسول فجاء على سحابة وقد رأى جسد السيدة العذراء محمولا إلى فردوس النعيم ففرح كثيرا وقبل الجسد الطاهر وظل محمولا على سحابة حتى وصل إلى الرسل ولما دحرج الرسل الحجر عن باب القبر ليطلعوا توما على نياحة العذراء لم يجدوا الجسد فأخبرهم توما بما رآه وطلب الرسل من الرب أن يريهم موضع الجسد ، وبالفعل عاينوا الجسد الطاهر فى الفردوس منتظراً يوم القيامة ومجيء الرب لاختطاف الكنيسة لتكون معه فى المجد . .

بركة صلاة امنا العذراء القديسة مريم فلتكن معنا جميعا آمين ؟

مختصر الرموز والاشارات عن العذراء في العهد القديم

١ — نسل المرأة (تك ٣: ١٥) هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه .

٢ — حمامة نوح (تك ٨ : ١١) فأتت إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها (إشارة إلى الحمامة الحسنة التي ولدت رئيس السلام)

٣ — سلم يعقوب (تك ٢٨ : ١٢ — ١٣) وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها . إشارة إلى مريم لأنها حملت يسوع في بطنها ،وعلى عود الصليب ارتفع الرب ففتح السماء وجعل السمائيين والارضيين واحدا (تقول الكنيسة في تسبحتها انت هي السلم الذي رآه يعقوب ثابتاً على الارض ومرتفعاً إلى السماء والملائكة نازلون عليه)

٤ — العليقة (خر ٣ : ٢) ظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق (وهذا إشارة إلى حمل مريم العذراء لنار

اللاهوت دون أن تحترق وتظل بتوليتها مصونة . كما تشير إلى إتحاد اللاهوت بالناسوت بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير) وفى هذا تقول الكنيسة فى تسبحتها انت هى العليقة التى رآها موسى متقدة بالنار ولم تحترق كذلك ان اللاهوت لم يحترق جسدك)

٥ — عصا هرون (عد ١٧ : ٨) وافرخت فروخا وأزهرت زهراً وأنضجت لوزا . . العصا تشير إلى مريم التى ولدت الرب يسوع على مستوى معجزى .

٦ — بجمرة هرون (عد ١٦ : ٤٦) ثم قال موسى لهرون خذ المجمرة وأجعل فيها نارا من على المذبح وضع بخورا . . المجمرة الذهب النقى هى العذراء . الجمر يشير إلى العليقة التى رآها موسى النبى فى البرية والنيران تشعل جوانحها مثال أم النور طوباها . حملت جمر اللاهوتية تسعة اشهر فى احشاها ولم تمسسها بأذية . .

اللاهوت والبخور هو رئيس الكهنة الاعظم الذى اصعد ذاته ذبيحة وقربانا مقبولا على الصليب ، اشتمه الاب السماوى على الجلجثة وقت المساء ، وارائحة العطرة التى

فاحت هي ولادة المسيح وكرازته للعالم . وتقول الترنيمة الكنيسة عن هذا الرمز

٧ — تابوت العهد (خر ١٥: ١٠ — ١١) من خشب السنط وتغشيه بذهب نقي من داخل وخارج، خشبه لايسوس اشارة إلى بتوليتها الدائمة . كسوته بالذهب من الداخل والخارج إشارة إلى طهارة مريم واتحاد اللاهوت بالناسوت إحتواء التابوت على المن إشارة إلى حمل العذراء بالمسيح المن الحقيقي السماوي .

٨ — قسط المن (خر ١٦ : ٣٣) وقال موسى لهرون خذ قسطا واحدا واجعل فيه ملء العمر منا وضعه أمام الرب للحفظ فى أجيالكم (مريم قسط المن الذهب الحاملة المن العقلي خبز الحياة) .

٩ — صخرة حوريب (خر ١٧ : ٦) ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة فى حوريب فتضرب الصخرة ، فيخوج منها ماء ليشرب الشعب . إشارة إلى العذراء الذى خرج منها المسيح بمعجزة ، وهو الماء الحي الذى كل من يشرب منه لا يعطش . (راجع ١ كو ١٠ : ٤)

١٠ ــ نبوات إشعياء منها (اش ٧ : ١٤) ها العذراء تحبل وتلد إبناً وتدعو اسمه عمانوئيل . ومنها أنت هى السحابة الخفيفة التى ركبها الله ، هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر اش ١٩ : ١

١١ ــ الباب الخارجى فى نبوة حزقيال (حز ٤٤ : ١-٢) ثم ارجعنى إلى طريق باب المقدس الخارجى المتجة للمشرق وهو مغلق فقال لى الرب هذا الباب يكون مغلقا لا يفتح ولا يدخل منه إنسان لأن الرب إله اسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً . (هذا اشارة إلى بتولية العذراء الدائمة)

تقول الكنيسة فى التسبحة ، مريم العذراء هى الباب الذى رآه حزقيال مغلقا لا يفتح ولا يدخل منه إنسان لأن الرب إله اسرائيل دخل منه فيكون مغلقا . .

١٢ ــ حلم دانيال (٢ : ٣٤) . كنت أنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين ، الحجر الذى قطع من جبل بغير يدين يشير إلى المسيح المولود من البتول الجبل الثابت بغير زرع بشر ــ مملكته التى ستحل محل المملكة الرابعة لا تزاول وتثبت إلى الابد .

تقول الكنيسة «أنت هو الجبل الذى رآه دانيال وقد قطع منه حجر ملأ كل الأرض الذى هو المسيح دون أن يلمسه يد أنسان البتة

١٣ — كل ما قيل عن صهيون فى مزامير داود (راجع مز ٤٩ : ٢ ، مز ٧٥ : ١ ، مز ١٣١ : ١٠ ، مز ٨٦ : ٥)

تأملات فى فضائل العذراء مريم

العذراء وحياة التكريس

إن كلمة مكرس تعنى مخصص أو مفرز وقد كانت العذراء مكرسة لله منذ ولادتها وهى نذيرة للرب تحقق فيها القول الالهى « أخق العروس جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم » . . وكما كانت خيمة الاجتماع مكرسة لله بكل ما فيها لا يستطيع أن يدخلها إلا اللاويون ، هكذا كانت العذراء مكرسة للرب لم يدخلها ولم يخرج منها الا إبن الله الكلمة الاقنوم الثانى . عاشت مكرسة لله فى طفولتها الأولى فى

الهيكل ونذرت حياة البتولية ، وهذا هو سر سؤالها للملاك جبرائيل عندما بشرها بميلاد يسوع « كيف يكون لى هذا وأنا لست اعرف رجلا ؟ » ، وعاشت بتولة قبل الحمل وأثناء الحمل وبعد الوضع. لأجل هذا تطلق عليها الكنيسة لقب الدائمة البتولية وترفض الكنيسة آراء بعض الخارجين عن الإيمان الرسولى القائلين بأن العذراء تزوجت بعد ميلادها بالمسيح وإن إخوة يسوع المذكورين فى الإنجيل إنهم أخوته فعلا .. والحقيقة أنهم أولاد كلوبا (حلفا) أخى يوسف من زوجة هى مريم أخت العذراء ، والذى يتأمل فى نبوة حزقيال (حز ٤٤ : ١ — ٢) ونبوة إشعياء (أش ٧ : ١٤) يدرك كيف أن العذراء عاشت بتولة طيلة حياتها ..

والتكريس أنواع ثلاث :

هناك تكريس شكلى مثل تكريس يهوذا الاسخريوطى الذى كان يبدو تلميذاً للمسيح مكرساً بينما هو خائن وسارق

وهناك تكريس ناقص مثل حنانيا وسفيرة اللذان رغبا فى أن يظهرا مثل برنابا وباقى الرسل بينما خانهما الإيمان وارادا أن يحتفظا ببعض الأموال .

وهناك تكريس حقيقى ، والعذراء مريم هى نموذجه المثالى ، إذ كانت مكرسة فى جسدها وبتوليتها ومكرسة فى فكرها ومشاعرها وروحها . . . . لقد كانت ذبيحة حية مقدسة مرضية أمام الله .

والكنيسة المسيح هى أيضا مكرسة بالتمام مثلما كانت العذراء ، وفى هذا يقول الرسول بولس «لأنكم اشتريتم بثمن فمجدوا الله فى اجسادكم» ١كو ٦ : ٢٠ . وفى موضع آخر يقول «وهو مات لأجل الجميع كى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام» ٢كو ٥ : ١٥

وحياة التكريس تتحقق فينا عندما نخرج على العالم كما خرج شعب اسرائيل كله من أرض مصر وعبر عن هذا موسى النبى بقوله أمام فرعون «لا يبقى ظلف» فاذا حرصنا على الخروج الكامل وإعطاء القلب الكامل للرب تسير أقدامنا فى درب التكريس . يطلب داود النبى لأجل ابنه : إعطه قلبا كاملا ليحفظ وصاياك شهاداتك وفرائضك . . وفى موضع آخر يطلب لنفسه . ليكن قلبى كاملا فى فرائضك . وإستناد القلب الكامل على الرب يعنى ببساطة خضوعه له

تماما إذ يستريح فى وصايا الرب وينقاد بالتمام إلى ما يقوله الروح حتى يثق المؤمن أنه محمول على الرب الذى يعمل فيه

إن حياة التكريس التى عاشتها العذراء هى حياة أولاد الله وهى تتحقق فى الخروج على العالم ، وفى طاعة الوصية والعبودية للبر ، وفى الشهادة الكاملة للحق فى حياتنا (لهذا ولدت ولهذا اتيت لأشهد للحق .)

• العذراء وحياة الطاعة

هوذا انا امة الرب

كانت حياة العذراء مريم حياة الطاعة الكاملة للرب . ففى بشارتها من الملاك أطاعت ما قاله لها ، وفى ولادة إبنها فى المذود أطاعت فى إتضاع ورضى بالعين ، وفى هروبها إلى أرض مصر فى ظروف قاسية مع رجلها يوسف وإبنها الوليد يسوع أطاعت ولم تتذمر . . وفى تحملها حياة الفقر الضنك الشديد فى الناصرة أطاعت دون دمدمة أو ضيق ، وفى ترك إبنها لها لكى يخدم فى اليهودية والجليل أطاعت فى إستسلام مبارك ...

على أن طاعة العذراء كانت تتميز بالسمات الآتية التى هى سمات طاعة أبناء النور لفاديهم ومخلصهم ..

+ كانت طاعة حب . إنها طاعة البنين وليست طاعة العبيد . الطاعة التى تستمد قوتها من طاقة الحب المشتعل فى القلب كما أطاع الإبن الآب وبذل ذاته لأجل خلاص العالم

+ وكانت طاعة فى اطار الحق لأن طاعة المسيحى ليست طاعة لإنسان ما وإنما هى طاعة الحق وحده . لأجل هذا كانت العذراء تطيع إبنها ليس لأجل رابطة الدم وحده وإنما لأنه هو الحق ذاته ، وكان الرب يسوع يكرم أمه ليس لأجل رابطة الدم وحدها ولكن لأنها هى أفضل من عرف إرادته ومشيئته وأطاعت الحق الذى فيه . . .

+ وكانت طاعة منفتحة واعية مستنيرة إذ يقول الكتاب إنها كانت تحفظ كل الأمور الخاصة بالأخلاص فى قلبها ، وكانت تتأمل كل الأحداث والأقوال متفهمة مقاصد الثالوث الاقدس على أعمق ما يكون التفهم والوعى والإستنارة . والطاعة فى حياة المسيحى يثيرها الروح القدس إذ أن الكتاب يذكرنا أنه لنا مسحة من القدوس تعلمنا كل شىء ، تعلمنا

الحق وهى ثابتة فينا ولاحاجة بنا إلى أن يعلمنا أحد ، بل كما تعلمنا هذه المسحة عينها عن كل شيء وهى حق وليست كذبا (١ يو ٢ : ٢٧)

فالروح القدس الذى فينا هو الذى ينير لنا الطريق ويقودنا فى طريق الحق حتى تصبح طاعتنا ليست لآخر سوى الحق وحده (الذين ينقادون لروح الله فأولئك هم ابناء الله).

ولكى ندرك أهمية الطاعة نتأمل فى هذه الآيات .

+ صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى عب ٥ : ٩

+ طهروا نفوسكم فى طاعة الحق بالروح للمحبة الاخوية العديمة الرياء فأحبوا بعضكم بعضاً من قلب طاهر بشدة ١ بط ١ : ٢٢

+ لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا ايضا باطاعة الواحد سيجعل الكثيرون ابرارا رو ٥ : ١٩ .

+ أنتم عبيد الذى تطيعونه إما للخطية للموت أو للطاعة للبر فشكراً لله أنكم كنتم عبيدا للخطية ولكنكم أطعتم

من القلب صورة التعليم التي تسلمتموها . وإذ اعتقتم من الخطية صرتم عبيدا للبر (رو ٦ : ١٦ — ١٨)

ويشير الآباء دائما إلى طاعة العذراء كصورة مقابلة لتمرد حواء. فاذا كانت حواء الأولى خالفت الله فان مريم اطاعته وبذلك تكون مريم قد حلت بطاعة ما ربطته حواء. واذا كان لسبب تمرد حواء قد اغلق باب الفردوس فانه بسبب طاعة مريم العذراء قد فتح لنا مرة أخرى ، واستحققنا ان نأكل من شجرة الحياة وإذا كانت العذراء قد استطاعت بالنعمة وعمل الروح القدس وجهادها المثابر ونسكها الشديد أن تستمع دائما لصوت الله في قلبها وتطيعه بالتمام فنحن أيضا مدعوون إلى هذه الحياة أن نستمع ونطيع (طوبى لاذانكم لأنها تسمع) ونستطيع ان نتعرف على الحق من خلال مخدع الصلاة وفي فترات الخلوة والاعتكاف. ومن خلال قراءة الكتاب المقدس بروح الصلاة والخشوع والتلذذ والاشتياق للتعرف على الحق ومن خلال الجلسات الروحية مع آباء الاعتراف والمرشدين الروحيين المخلصين واذا كانت معطلات روح الطاعة هي الذاتية والانانية وقساوة الرقبة وغلاظتها والانعطاف إلى كلام الناس والاستماع اليهم

والتعامل على مستوى الاقيسة العقلية فإن المؤمن الحقيق الذى سلم حياته للرب ووضع فى قلبه الايستشير إلا صوت الحق وحده والذى تمرس فى درب الطاعة وتتلذذ الروح ونما فى معرفة مسالكه ، فانه هو وحده الذى تمتد طاعته لتكمل فى الحب والبذل الكامل والفدية حتى الموت .

وإذا كنا أحيانا نسلك فى ضباب لانرى الطريق وتتضارب أمامنا الأهداف والمقاصد والطرق والوسائل فنحن نحتاج إلى تمحص شديد للذات وتجرد لكافة كلام الناس واستعداد واضح لاملاك المشيئة الشخصية لكى يطاع الله أكثر من الناس .

* العذراء وحياة التأمل

يقصد بحياة التأمل تكريس الإنسان عقله وقلبه لحب الله والابتعاد عن إهتمامات العالم للاتحاد بالله حتى أن العقل لا يجد مسرة فى شىء سوى الصلاة ورؤية الله . . إن حياة التأمل هى حياة التفرس فى مجد الله والتلامس معه فى الصلاة الدائمة الداخلية ، والتعمق فى فهم مقاصد

الله فى آيات الكتاب المقدس بهدوء وروية (فى ناموسه يلهج ليلا ونهارا) .

إن العذراء مريم تمثل النموذج الرائع لحياة التأمل إذ يقول الكتاب المقدس عنها « وأما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به فى قلبها » لو ٢ : ١٩ ويوضح التقليد الكنسى كيف عاشت القديسة مريم مخزنة فى قلبها الطاهر جميع الإختبارات الروحية العظيمة التى جازتها مع إبنها يسوع المسيح ، وكانت عاكفة مع الرسل وبالأخص يوحنا على الصلاة والطلبة والتسبيح والشكر والتأمل فى مقاصد الله العجيبة نحو خلاصنا .

وقد أورد لنا كتاب حياة الصلاة الارثوذكسية فصلا عن حياة التأمل وحياة العمل يوضح بجلاء سمات كل نوع منهما . ونقتطف منه قولا للقديس أوغسطينوس « ليكن المشتغلون بحياة الخدمة فى هذا العالم بعيدين كل البعد عن محبة الكرامة ومظهر القوة وانما العمل ذاته الذى يؤدونه إذا ما كان لصالح الآخرين كما يجب ووسيلة لخلاص النفوس بالحق فحينئذ يكون هو الحق والكرامة والقوة معا .

ولكن يجب أن لايعاق أحد عن متابعة التأمل ومعرفة الحق الذى هو عين العمل المستحق كل مديح . إن محبة الحق هى "ق تدفعنا لنسعى نحو الفراغ والهـــدوء المقدس ، وضرورات الخدمة تجعلنا نحمل عبء المشغوليات المقدسة

يقول القديس إغريغوريوس الكبير عن كيفية ممارسة حياة التأمل فى وسط العمل والخدمة إنه حينما يرغم القديسون لضرورة العمل فيشتركون فى الخدمات الخارجية تجدهم على الدوام يركزون ذواتهم بهمة فى فحص وتفتيش أسرار قلوبهم ، وهكذا تجدهم على الدوام مرتفعين بسمو أفكارهم الداخلية ، وحينما يفرغون من شغب الاعمال الزائلة تجدهم عندقة تأملاتهم يفحصون فى أحكام الإرادة الالهية .

وإذا كانت المشكلات التى تقابلنا فى حياة التأمل هى الصخب والضجيج وكثرة الإرتباكات والهموم وكلام الناس فإن هذه كلها تنحصر فى ضعف لواعج الحب والإنشغال النفس بذاتها وبعدها وزوغانها عن مخلصها وعريسها ..

نحتاج إلى أن نسمع قول الحكيم : يا إبنى إحفظ وصايا أبيك ولا تترك شريعة أمك . إربطها على قلبك وقلد بها

عنقك (جا ٤ : ١) . وهم داود ترنم قائلين سبع مرات في النهار سبحك على أحكام عدلك . . ، طوبى للرجل الذى في ناموس الرب إرادته وفي ناموسه يلهج نهارا وليلا . . يارب إفتح شفتاى ولينطق فمى بتسبيحك . . . إشتقت إلى خلاصك يارب وناموسك هو لهجى ، تحيا نفسى وتسبحك وأحكامك تعينني . .

ولنذكر قول القديس أوغسطين إن التأمل في الله هو الكل في الكل ، ولن يكون نصيب الإنسان أعظم من هذا إذ فيه كل إستنارة وفرح وسعادة . . .

مكانة العذراء عند الرب يسوع

تتضح هذه المكانة العظيمة التى للسيدة العذراء عند الرب يسوع فى العناصر الرئيسية الآتية :

(١) لقد حل فى بطنها الطاهرة وإرتضى أن تكون له أماً بالجسد

(٢) طاعة الرب يسوع له المجد لها وهو طفل فى الجليل والناصرة

(٣) إحترام الرب يسوع لطلبة أمه فى قانا الجليل

(٤) هى أمه ليس لأنها ترتبط به رباطا جسديا فقط ، ولكنها روحيا هى قديسة فى كل شىء . . لقد استطاعت بالروح القدس أن تطيع مشيئة الآب فاستحقت أن تكون للمسيح أماً . لأن الرب يقول (من هم ابى وأمى واخى واختى إلا الذين يصنعون مشيئة أبى)

(٥) تكريم الرب يسوع لأمه على الصليب وتسليمه إياها ليوحنا ، التلميذ الذى كان يحبه . .

(٦) عند نياحتها نزل من المجد بنفسه وحمل روحها الطاهرة .

(٧) أصعد جسدها الطاهر إلى السماء انتظاراً لساعة القيامة .

(٨) هيأ لها الرب مكاناً فى مجده عن يمينه إذ يقول المزمور جلست الملكة عن يمين الملك .

* * *

ومن هذا نتبين كيف أن الكنيسة تكرمها وتعطيها التطويب قبل رؤساء الملائكة وجميع الخلائق الروحية وكافة القديسين والقديسات لما لها من مكانة فريدة عند الرب يسوع .

مكانة العذراء فى الكنيسة الارثوذكسية (١)

مركزها فى العقيدة والايمان الارثوذكسى

+ لمريم العذراء مركز فريد فى اللاهوت الارثوذكسى فهى التى نخاطبها فى مقدمة قانون الايمان

«نعظمك يا أم النور مريم والدة الاله لانك ولدت لنا مخلص العالم الذى وخلص نفوسنا» فهى والدة الاله وهى أم النور .. وهى التى نخاطبها فى صلوات الاجبية «إذ ليس لنا دالة ولا حاجة ولا معذرة من أجل خطايانا . فنحن بك نتوسل الى الذى ولد منك يا والدة الاله العذراء لأن كثيره هى شفاعتك ومقبولة عند مخلصنا . أيتها الأم الطاهرة لا ترفضى الخطاة من شفاعتك عند الذى ولد منك لأنه رحوم وقادر على خلاصنا» . وقد أورد لنا كتاب الثيوتوكس مركز العذرا. فى الكنيسة الارثوذكسية من خلال ألقابها (والدة الاله — دائمة البتولية — أم النور —

---

(١) يلزم قراءة كتاب ثيوتوكس ليبت التكريس لما فيه من دراسة عميقة وكذا كتاب مريم العذراء أم النور لمدارس أحد مصر الجديدة فى هذا الصدد

القديسة فى كل شئ — أم جميع الاحياء — شفيعة جنس البشرية) وكذا أورد لنا المواضع التى فيها تكرم الكنيسة العذراء مريم وتطوبها فى التسبحة وفى القداس مثل ذكر تعظمك ياأم النور وكذا ذكرها فى الهيتينيات ، ومرد بشفاعات والدة الاله ، والحان السلام لمريم الملكة ، اساساته فى الجبال المقدسة ، المجمرة الذهب النقى الحاملة العنبر ، السلام لك يامريم الحمامة الحسنة ، افرحى يا مريم العبدة . هذا بالاضافه الى الحان أخرى كثيرة تقال فى مناسبات الاعياد الكنسية وفى أعياد العذراء نفسها وهى :

١ — عيد ميلادها (٨ مايو)

٢ — عيد دخولها الهيكل (١٢ دسمبر)

٣ — عيد نياحتها (٢٦ يناير)

ويكرر هذا العيد فى كل يوم ٢١ من كل شهر قبطى على مدار السنة

٤ — عيد فتح قبرها والتحقق من صعود جسدها (٢٢ أغسطس)

٥ — عيد بناء أول كنيسة فى العالم باسمها (٢٨ يونيو)

٦ — شهر كيهك كله ويسمى الشهر المريمى وترتل فيه

الابصاليات (تسابيح) والتذاكيات وهى تمجيدات وتطويبات للعذراء مريم والدة الاله .

وتكرم الكنيسة العذراء أيضا فى طقس بناء الكنيسة إذ تزين جدرانها بأيقونات للعذراء مريم وبالاخص على حجاب الهيكل إذ يلزم ان تحتوى كل كنيسة ارثوذكسية على أيقونة خاصة بالعذراء مريم حاملة السيد المسيح .

كما تكرم الكنيسة القبطية ظهور العذراء فى كنيسة الزيتون وقد اصبح يوم ٢ أبريل عيدا من أعياد الكنيسة القبطية تذكاراً لتجلى العذراء بالزيتون . . فالكنيسة القبطية تكرم العذراء فى ايمانها وفى عقيدتها وفى تسابيحها وفى القداس الالهى وفى الطقس والفن وفى تذكار الاعياد الكثيرة حتى تنفذ ما قالته العذراء إن جميع الاجيال ستطوبها .

كيف نكرم العذراء ونطوبها ؟

إنها نطقت بإرشاد من الروح القدس قائلة " هوذا منذ الآن جميع الاجيال تطوبنى ، فتكريمنا لها إستجابة واجبة لنداء الروح على ممر العصور والأجيال، وهى مستحقة

هذا التكريم والتبجيل لأنها والدة الاله العذراء القديسة وهى امنا كلنا التى تشفع من اجلنا أمام عرش ابنها الوحيد وهى نموذج الطهارة والعفة والبتولية . . لاجل هذا إستحقت أن تسمى من الكنيسة السماء الثانية ..

وهى تستمد كرامتها من إبنها الذى كرست حياتها له فمن يطيع ابنها ويقدسه إنما يطوبها ، وهى قد عاشت حياة العفة والطاعة والفقر الاختيارى والانضاع الحقيقى ممن يحيا مثلها يشترك معها فى تطويب حياتها التى قدمت ذبيحة مقدسة للرب يسوع وهى رسالة فرح وبشرى خلاص فمن يحيا فى التهليل والتسبيح والشكر يشترك معها فى الطوبى الجزيلة التى تستحقها . ولنحذر أن نقع فى احد طرفين : طرف وقع فيه البروتستانت عندما أنكروا تطويبها وأهملوا تكريمها ، وطرف آخر وهو التباهى الجسدى بها وبروز الشعور أننا نمتلكها ونفخر بظهورها فى كنيسة الزيتون لنتكبر بها على الآخرين وتنتفخ ذواتنا ويتأكد تعصبنا الطائفى بدلا من أن نفسح إتضاعا وخشوعا وكرازة . .

فلنهض مع آبائنا الأولين فى تطويبها بالمثابرة على التسبيح بالنلثوكيات والتشفع بها فى كل صلاة ، ولتزين صورتها بيوتنا ولتعلم اولادنا كرامتها حتى يشب الجيل على احترامها وتطويبها ويستحق أن يكون من الاجيال التى تتشرف بتكريمها .

المحتوى

صفحة

+ موجز سيرتها الطاهرة ٤

+ مختصر الرموز والاشارات عنها فى العهد القديم ١٠

+ تأملات فى فضائل أم النور

• العذراء وحياة التكريس ١٤

• العذراء وحياة الطاعة ١٧

• العذراء وحياة التأمل ٢١

+ مكانة العذراء عند الرب يسوع ٢٥

+ مكانة العذراء عند الكنيسة الارثوذكسية ٢٧

+ كيف نكرم العذراء ونطوبها ؟ ٢٩

يطلب من
المكتبة المرقسية بملوى — ص. ب ١٣
وجميع المكتبات المسيحية